المحاضرة الأولى: مدخل إلى علم الدلالة اصطلاحا وتاريخا

تمهيد

1- تعريف علم الدلالة لغة:

تعددت تعاريف الدلالة في المعاجم العربية نذكر منها ما قاله ابن فارس: " الدال واللام أصلان: أحدهما: إبانة الشيء بأمارةٍ تتعلمها، والآخَر: اضطرابٌ في الشيء. فالأوَّل قولهم: دلَلْتُ فلانًا على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بيِّن الدَّلالة والدِّلالة [1]" ويقول الجوهري: "الدلالة في اللغة مصدر دَلَّهُ على الطريق دَلالَةً ودِلالَةً ودُلولَةً، في معنى أرشده."[2]، وفي اللسان:" ودَلَّه على الشيء يَدُلُّه دَلاًّ ودَلالةً فانْدَلَّ: سدَّده إليه،... والدَّلِيل: ما يُسْتَدَلُّ به، والدَّلِيل: الدَّالُّ، وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودُلولة والفتح أَعلى، والدَّلِيل والدِّلِّيلي: الذي يَدُلُّك"...[3]، وأوضح الراغب الأصفهاني أن هذا الإرشاد أو التسديد أو الإبانة، كما أوردها هؤلاء المعجميون (ابن فارس، والجوهري، وابن منظور) قد يصحبها قصد من الدالّ وقد لا يصحبها ذلك القصد، وذلك كما في الدلالة الطبيعية التي مثل لها بدلالة حركة الإنسان على حياته، واستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ** ﴾ [سبأ: 14]، "الدلالة: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعاني، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة الإنسان فيعلم أنه حيّ، كما في قوله تعالى: ﴿ **مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ** ﴾ [سبأ: 14]. وأصل الدلالة مصدر كالكتابة والأَمارة، والدال: من حصل منه ذلك، والدليل: في المبالغة، كعالم وعليم، وقادر وقدير، ثم يسمى الدال والدليل دلالة، كتسمية الشيء باسم مصدره."[4]

ولقد وردت مشتقات من لفظ الدلالة في القرآن الكريم في سبعة مواضع، خمسة منها مصحوبة بالقصد والإرادة" 9، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ** ﴾ [طه: 40]، وفي قوله: ﴿ **فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ** ﴾ [القصص: 12]، وفي قوله: ﴿ **هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ** ﴾ [سبأ: 7]، وفي قوله: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [الصف: 10]، وفي قوله: ﴿ **قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ** ﴾ [طه: 120]. واثنتان لا يلاحظ فيهما ذلك، وذلك كما في الآية التي ذكرها الراغب: ﴿ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ** ﴾ [سبأ: 14]، أما الآية الأخرى ففي قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا** ﴾ [الفرقان: 45].

والمعنى في المواضع السبعة، هو كما قال الراغب: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كلاماً كان أو غير كلام

2- تعريف علم الدلالة اصطلاحا

علم الدلالة أو دراسة المعنى" يعد فرعا من فروع علم اللغة، ولم يقتصر البحث فيه على علماء اللغة فحسب، بل تطرق إليه العلماء بمختلف التخصصات" فهو قديم قدم الإنسان، ولكنه لم يعرف بهذا المصطلح إلا على يد العالم ميشال بريال michelbrial عام 1830م"[5]

و **عرفها أحمد مختار عمر** بأنها دراسة للمعنى، " أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز، حتى يكون قادرا على حمل المعنى"[6]، فعلم الدلالة هو" العلم الذي يتناول المعنى والشرح والتفسير، يهتم بمسائل الدلالة وقضاياه، وتعتبر أهم فرع من فروع علم اللغة"[7]، ولهذا العلم أسماء عديدة في الفرنسية و الانجليزية لكن أشهرها و أكثرها استعمالا هو مصطلح sémantique في الفرنسية، و مقابله semantics في الإنجليزية.

أما في العربية فقد اختلف الدارسون في تحديد المصطلح الذي يقابلون به مصطلح semantique، حيث ظهرت تسميات كثيرة لهذا العلم منها : علم المعنى، السيمانتيك ، علم الدلالة سواء بفتح الدال أو كسرها ، الدلاليات، الدلالية.. إلا أن علم الدلالة هو المصطلح الأشهر.

وعلم الدلالة عند معظم اللغويين هو "العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى "[8].

علم الدلالة هو"علما خاصا يهتم بدراسة المعنى في المقام الاول، وما يحيط بهذه الدراسة أو يتداخل معه من قضايا وفروع كثيرة صارت اليوم من صلب علم الدلالة، كدراسة الرموز اللغوية (مفردات وعبارات وتراكيب)، وغير اللغوية كالعلامات والإشارات [9]"

يهتم علم الدلالة بدراسة الرموز اللغوية وغير اللغوية، حيث يقوم بتحليل كل الشفرات التي تقدم إليه بغية التنقيب عن المعاني المقصودة وغير المقصودة.

3- **نشأة علم الدلالة:** يرجع الدارسون المحدثون نشأة علم الدلالة الحديث إلى أواخر القرن التاسع عشر حين ظهر مصطلح (sémantique)، في مقال كتبه ميشال بريال michelbrialعام 1883، تطرق فيه إلى مسائل دلالية متعددة، واسم كتابه حياة الألفاظ (la vie des mots) ، صدر عام 1887، فالبحث الدلالي لم يكن وليد القرن التاسع عشر وإنما امتد في أعماق التاريخ والعلوم اللغوية، حيث كانت اهتمامات العلماء بأهمية الدلالة والمعنى منذ القدم واضحة في بحوثهم ومؤلفاتهم النحوية والمعجمية، ضربت البحوث الدلالية بجذورها في أعماق التاريخ، حيث أسهمت في الكشف عن المعاني وتجلى ذلك من خلال جملة البحوث التي قدمت سواء من قبل العرب أو الغرب.

4- تاريخ علم الدلالة في العصور القديمة

أ-**عند اليونان** :لقد تعرض فلاسفة اليونان في بحوثهم و مناقشاتهم لموضوعات تخص الدلالة باعتبارها قضية ذات أهمية بالغة في التفكير الإنساني، وهي العلاقة بين اللفظ و معناه وهي من أهم القضايا الدلالية التي دار حولها نقاش الفلاسفة، و قد افترقوا إزاء هذه القضية إلى فريقين:

الفريق الأول- و أشهرهم أفلاطون- يرى أن العلاقة بين اللفظ و معناه علاقة طبيعية مبررة ،ذلك لأن "للألفاظ معنى لازما متصلا بطبيعتها، أي أنها تعكس- إما بلفظها المعبر و إما ببنية اشتقاقها- الواقع الذي تعبر عنه" [10].

أما الفريق الثاني بزعامة أرسطو فيرى أن العلاقة بين اللفظ و معناه، علاقة اصطلاحية غير طبيعية لأن"للألفاظ اصطلاحا ناجما عن اتفاق و عن تراض بين البشر" [11]. كما ميز أرسطو بين الكلام الخارجي و الكلام الداخلي الموجود في العقل، " [12]

ب-عند الهنود : لقد اهتم الهنود بالقضايا الدلالية في اللغة الهندية(السنسكريتية) في وقت مبكر، خاصة و أن لغتهم هي السبيل لفهم كتابهم الديني(الفيدا)، و الحقيقة أن الهنود "ناقشوا معظم القضايا التي يعتبرها علم اللغة الحديث من مباحث علم الدلالة" [13]، ومن أهم القضايا و المباحث الدلالية التي عالجها الهنود مايلي:

- نشأة اللغة :فمنهم من قال إن اللغة هبة إلهية و منهم من قال إنها من إنتاج و اختراع البشر.
- علاقة الكلمة بمدلولها :إن هذه القضية تعرض لها اللغويون الهنود و انقسموا إزاءها إلى فريقين، فريق يرى أن هناك علاقة طبيعية تربط الكلمة بمدلولها، و فريق يرى أن هذه العلاقة اصطلاحية و ليست طبيعية.

5- **أقسام الدلالة** : اهتدى الهنود إلى وجود أربعة أقسام للدلالات تبعا لعدد الأصناف الموجودة في الكون

القسم	دلالته	مثاله
القسم الأول	**دال على مدلول عام (شامل)**	**رجل**
القسم الثاني	**كيفية**	**طويل**
القسم الثالث	**حدث**	**جاء**
القسم الرابع	**دال على ذات**	**محمد**

نلاحظ من خلال ما سبق أنّ الأقسام الأربعة للدلالات، لها فاعلية في الإشارة إلى دلالة الشيء الذي يرمز إليه، وبالتالي فكل واحد له وظيفة دلالية تؤدي غرضا يفيد إتمام عملية الفهم، كما اهتم الهنود إلى جانب ذلك بفاعلية السياق، كما أقرّوا بوجود الترادف، والمشترك اللفظي، وأدركوا أيضا دور القياس وقيمته اللغوية، والمجاز وآثره في تغيير المعنى.

ج- عند العرب

- ✓ **عند الجاحظ (255ه):** نجده يبرز مجهوده من خلال اجتهاده في أبواب البيان، وإظهار مكانة اللغة العربية وجماليتها فأخذ في جمع الصور اللفظية، وغير اللفظية فهي عبارة عن تمثيل لدلالات المعاني المختلفة، كما ركز على أصوات الحروف[14].
- ✓ **عند الفارابي (339ه):** اهتم الفارابي اهتماما بالألفاظ فصنفها إلى تصنيفات عدة، بل أنه وضع لها علما خاصا، سماها علم الألفاظ، الذي عدّه من فروع علم اللسان، وقسمها إلى سبعة أقسام[15]

1. علم الألفاظ المفردة، ويعني به علم المعاجم.
2. علم الألفاظ المركبة، ويعني به الكلام البليغ، من شعر ونثر وخطاب.
3. علم قوانين الألفاظ المفردة ويعني به علم المعاجم.
4. علم قوانين الألفاظ المركبة، الذي يشمل على علمي الصرف والنحو.
5. علم قوانين تصحيح القراءة.

6. علم قوانين تصحيح الكتابة.

7. علم قوانين تصحيح الأشعار. و يعني به علم العروض.

- ✓ **عند عبد القاهر الجرجاني (412ه):** اهتم عبد القاهر الجرجاني بمبحث حول قيمة اللفظ، سواء كان في حالة الإفراد او التركيب، وعلاقته بالمعاني ومباحث أخرى كما اهتم بالحقل الدلالي وقيمته مقابل التطور الحاصل في ميدان علم اللغة[16]، فأقسام الدلالة عند الجرجاني اثنان[17]:الدلالة اللفظية: إذا كان الشيء الدال لفظا.، الدلالة غير اللفظية: إذا كان الشيء الدال غير لفظ.
- ✓ **الدلالة عند الغزالي (ت505ه):** اعتمد الغزالي في تحديد مفهوم الدلالة على أسس واضحة نجدها في كتابه " المستصفى من علم الأصول"، وتعود هذه الأسس أصلا إلى فهم عميق للدلالة، " وإن كانت وضعت لتطبق في فهم النصوص الشرعية، فكان يستنبط أفكاره وأحكامه من كتاب الله، وهذا ما ظهر جليا خلال كتابه المستصفى من علم الأصول"[18]، ومن خلال هذا الكتاب نجده يذكر أصنافا للمعاني، قد حددها علماء الدلالة المحدثين، كالمعنى الإرشادي أو الإيماني والمعنى الاتساعي، والمعنى السياقي وكان الغزالي يسميها بمصطلحات أصولية، **وهي على الترتيب دلالة الإشارة، ودلالة الاقتضاء ونحو الخطاب،** وهي التي يدل عليها اللفظ، ولا يكون منطوقا ولكن يكون من ضرورة اللفظ"[19].
- ✓ **الدلالة عند ابن خلدون (ت808):** يقول ابن خلدون في المقدمة عن جوهر الدلالة، وطرق تأديتها موضحا ذلك وشارحا:" واعلم بأن الخط بيان عن القول والكلام، كما ان القول والكلام بيان عما في النفس والضمير من المعاني، فلابد لكل منهما أن يكون واصفا للدلالة"، فابن خلدون سار على نهج الغزالي إذ يوضح العلاقة القائمة بين المعاني المحفوظة في النفس، والكتابة والألفاظ ويحصرها في ثلاثة أصناف: الكتابة الدلة على اللفظ، اللفظ الدال على المعاني التي في النفس والضمير.، المعاني الدالة على الأمور الخارجية.[20]
- ✓ **عند المحدثين:**

تعمقت الدراسات الدلالية في منتصف القرن التاسع عشر ميلادي، عند العالم اللغوي ماكس مولر(max mallor) في كتابيه " العلم واللغة" 1862، و " العلم والفكر" 1887م، ومع بداية القرن العشرين ظهرت أسماء من العلماء أسهموا بأعمالهم في بروز علم الدلالة وظهورها باعتبارها علما مستقلا بين بقية علوم اللغة الاخرى، التي كان لها وجودها واستقلالها، كعلم الأصوات وعلم الصرف وعلم النحو، أما ستيفن اولمن في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين فقد شهد علم الدلالة على يديه

تقدما ونضوجا حيث يعد اولمن من اهم المهتمين بدراسة المعنى، ومشكلاته في النصف الاول من القرن العشرين .

الهوامـــــــــــش

1- مقاييس اللغة. لابن فارس تح/ عبد السلام هارون. ج2 دار الفكر 1399هـ - 1979م. ص: 259
2- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) لإسماعيل بن حماد الجوهري تح/ أحمد عبد الغفور عطار.ج4، دار العلم للملايين. بيروت- لبنان ط:4 - يناير 1990م.ص: 1698
3- لسان العرب ، ابن منظور وما بعدها..ج1، دار الحديث 1427هـ - 2006م، ص:399
4- المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني. مكتبة نزار مصطفى الباز. دس ص: 171
5- علم الدلالة، نور الهدى لوشن، دراسة نظرية وتطبيق، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د ط، ص23.
6- ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمرن عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998، ص11.
7- ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، ط1، 2005، ص09.
8- المرجع السابق ص: 22.
9- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، فريد عوض حيدر، ص12.
10- جورج مونان،تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين،ترجمة بدر الدين القاسم،1972،ص91.
11- . نفسه،ص91
12- . علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ،ص11.
13- البحث اللغوي عند الهنود أحمد مختار عمر، ،ص99،.
14- ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط4، ص108.
15- إحصاء العلوم ، الفارابي، تح: علي بوملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1 ص1996، ص09.
16- ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، شرح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجبل، بيروت، ط1، 2004، ص133.
17- علم الدلالة أصولها ومباحثها في التراث العربي، منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 2001،ص41.
18- عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، ص 31.
19- ينظر: الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1943، ص187.
20- عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 34-35.